بسم الله الرحمن الرحيم

ضرورة النبوة – دراسة في التحليل العقلي

م.د. اياد نعيم مجيد

ضرورة النبوة – دراسة في التحليل العقلي

المقدمة:

إنّ الغاية الإلهية من خلق الإنسان وصوله إلى مقام القرب الإلهي وتحقيق سعادة الدارين عن طريق كسب الفضيلة ونيل الكمال، والمقصود من مقام القرب الإلهي تجلي الصفات الإلهية في وجود الإنسان، فكلما كانت الصفات الإلهية متجلية أكثر في وجود الإنسان كان مقامه أقرب إلى الله تعالى. ولتحقق هذا الهدف جعل الله تعالى الاستعدادات المناسبة لذلك في وجود الإنسان «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»[1]، ومع تفتح ونمو هذه الاستعدادات يتحقق هدف القرب من المقام الإلهي، ولكي تتفتح الاستعدادات وتنمو لا بد من وجود رسالة عملية ومربي يساعد الإنسان في هذه المهمة. فالرسالة العملية هي المتمثلة بوجود الدين، والمربي المناسب هو الذي يتمثل بوجود الأنبياء((عليهم السلام)).

ومن خلال استقراء التاريخ البشري نرى أنّ هذه الاستعدادات الفطرية تتفتح وتنمو، إلّا إنها غالباً ما تتجه نحو الإفراط والتفريط، بسبب عدم وجود المعيار المناسب والمربين اللائقين والمناسبين لهذه المهمة. وهذا ما يتضح في أغلب عبادات المجتمعات، فمن المجتمعات ما يعبد الأصنام ومنهم ما يعبد الشمس أو النار أو البقر أو أحد أعضاء الموجودات الحية كالعظام وغيرها. وهذا كله بسبب الميل الفطري للعبادة، فالتوجه للعبادة ميل واستعداد فطري موجود في وجود الإنسان، ولهذا تراه يبحث عن موجود متعال يملي به عقله ويسد به فقره ويقوي به ضعفه، والآيات القرآنية أشارت إلى ذلك كقوله تعالى «وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً»[2] وقوله تعالى«فطرة الله التي فطر الناس عليها»[3] و«أنتم الفقراءُ إلى الله»[4] تدل دلالة واضحة على حاجة الإنسان إلى ذلك.

فالإنسان على طول التاريخ وإلى يومنا هذا يبحث عن موجود متعال قادر (إنّ النزعة إلى التقديس تشع من صميم العقل الإنساني، وأنّ في روح الإنسان نزعة عميقة للإتصال بالله –سبحانه وتعالى– وأنّ الشعور الطبيعي عند الإنسان يكفي ليجعله يؤمن بإله واحد خالق مدبر العالَم)[5]، ولكن عدم تمكنه من التعرف على أولياء الله الصالحين «الأنبياء عليهم السلام» وما يحملون من رسائل دينية إلهية جعلته بعيد كل البعد عن التعرّف على الوجود الإلهي. فهو لوحده وبالاعتماد على عقله عاجز عن الوصول إلى الطريق الذي أراده الله تعالى له، فالعقل الإنساني محدود، ولولا محدوديته لما أرسل الله تعالى الأنبياء((عليهم السلام)). فالأنبياء قد ساعدوا الناس في هذا الأمر المهم، وهم العقل الظاهر «الشرع عقل

---

[1] - سورة الروم، الآية 30.
[2] - سورة النساء، الآية 28.
[3] - سورة الروم، الآية 30.
[4] - سورة فاطر، الآية 15.
[5] - مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، العدد 35، سنة 2019، ص121.

ظاهر، والعقل شرع باطن»[1]، والعقل المسموع «العقل عقلان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع منه إذا لم يكن مطبوعه»[2].

وعلى هذا الأساس وجود العقل الراجح والمرشد الهادي لمساعدة الناس في توجهاتهم الفطرية من ضروريات الحياة، ليعمل على هدايتهم وتعريفهم بمعبودهم الحقيقي الذي يبحثون عنه فطرياً. وهذا المرشد الهادي والعقل الراجح هو ما يتمثل بوجود الأنبياء((عليهم السلام)) فيعملوا على إبعاد الناس عن الإفراط والتفريط وتوجيههم نحو الاعتدال وتحقيق العدالة الاجتماعية ونشر الفضيلة ما بين الناس. فالإنسان مهما تطور وتقدّم في مجال ما لا يخلو عمله من نقاط ضعف إفراطية أو تفريطية، ووجود الأنبياء عليهم السلام يعملوا على إصلاح تلك النقاط وصولاً إلى حالة الاعتدال التي تتحقق من خلالها سعادة الإنسان. فالأنبياء((عليهم السلام)) يعملوا على إحياء الفطرة الإنسانية لدى الناس ورسم طريق الهداية لهم لكسب الفضائل ونيل الكمال لتحقيق الغاية النهائي من الخلق، أي الوصول إلى مقام القرب الإلهي وتحقيق سعادة الدارين.

وبحسب ضرورة البحث سيكون لدينا مبحثين، وسنعمل في المبحث الأول على إثبات ضرورة النبوة، أي ضرورة وجود الأنبياء((عليهم السلام)) بالبراهين النقلية والعقلية. وستكون البراهين الدالة على ذلك متعددة ومتنوعة لحكماء مدارس الفلسفة (المشائية، الإشراقية، والمتعالية)، والعمل على تفنيد ما يخالف ذلك. وسنبحث الشروط اللازمة لوجود الأنبياء أيضاً، بالإضافة إلى الخصال التي يتمتعون بها، وبيان أهدافهم. وفي المبحث الثاني سنتطرّق إلى جوهر وحقيقة النبوة والوحي، بالإضافة إلى بيان كيفية حصول الوحي للأنبياء((عليهم السلام))، والتطرّق إلى مراتبهم ومقاماتهم، وبيان اختلاف مراتب الوحي لاختلاف مراتب ومقامات الأنبياء((عليهم السلام))، وصولاً إلى النتيجة التي من أجلها قمنا بهذا البحث.

[1] - تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي، الناشر: بيدار، قم المقدسة، ج2، ص31

[2] - مفاتيح الغيب، صدر الدين الشيرازي، الناشر: مؤسسة البحوث والدراسات الثقافية (الرابطة الإسلامية للحكمة والفلسفة في إيران)، طهران، 1984م، ص709.

المبحث الأول

ضرورة النبوة

المدخل:

اختلفت الآراء حول بعثة الأنبياء((عليهم السلام))، فمنهم من قال: إنّ إرسال الأنبياء((عليهم السلام)) ليس واجباً على الله تعالى؛ لأنّ إرسال الله تعالى للأنبياء((عليهم السلام)) وعدم إرسالهم عين العدل. ومنهم من قال: بضرورة إرسال الأنبياء((عليهم السلام)) من قبل الله تعالى؛ لأنّه تعالى لطيف[1]، وحكمته تقتضي ذلك لتحقيق الغرض من الخلق، وسد حاجة الناس وما تقتضيه الفطرة البشرية، وهناك من أنكر ضرورة بعثة الأنبياء مكتفين بالعقل[2]. وفي هذا الفصل سنبحث موضوع ضرورة النبوة ونثبت بالبراهين النقلية والعقلية ضرورة وجود النبوة، وسنعتمد البراهين المتعددة والمختلفة لحكماء مدارس الفلسفة الإسلامية (المشائية، الإشراقية، والمتعالية) لتكون دليلاً قاطعاً وحجة على ما ندعي، وسنتطرّق إلى شبهات البراهمة في إنكار بعثة الأنبياء((عليهم السلام)) وتفنيدها. وسنبين الشروط اللازمة لوجود الأنبياء((عليهم السلام))، بالإضافة إلى بيان ما يتمتع به الأنبياء((عليهم السلام)) من خصال مع ذكر أهداف بعثتهم.

إثبات ضرورة وجود النبوة

كما أنّ نظام الكون بحاجة إلى المطر، والعناية الإلهية لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً، فكذلك لم تقصر في بعثة الأنبياء((عليهم السلام)) لحاجة نظام العالَم إلى من يعرف الناس موجبات صلاح الدنيا والآخرة. ولإثبات ضرورة وجود الأنبياء هناك دلائل نقلية وعقلية، وهي كما يلي:

الدلائل النقلية على ضرورة وجود الأنبياء((عليهم السلام)):

1. تعليم وتزكية الناس «... يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم...»[3].
2. إنذار الناس وإعطائهم البشرى «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمةٍ إلّا خلا فيها نذير»[4].
3. أسوة حسنة في تنفيذ الأوامر الإلهية «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...»[5].
4. وضع قوانين الحياة.
5. تأييد العقل البشري فيما توصل إليه.
6. إحياء الفطرة الإنسانية.
7. نشر العدالة الاجتماعية.

---

[1] - شرح الفصول النصيرية، عبدالوهاب بن علي الأسترآبادي، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية)، كربلاء المقدسة، 1433 ه، ص213.

[2] - معارج الفهم في شرح النظم، الحسن بن يوسف الحلي، الناشر: دليل ما، قم المقدسة، 2007م، ص399.

[3] - سورة البقرة، الآية 129.

[4] - سورة فاطر، الآية 24.

[5] - سورة الأحزاب، الآية 21.

8 -إنارة الطريق معنوياً «وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً»[1].

الدلائل العقلية على ضرورة وجود الأنبياء((عليهم السلام)):

البرهان الأول: (برهان اللطف[2]) [3]:

لدى الإنسان استعدادات فطرية مختلفة، منها تحصيل الكمال والخلود والسعادة.

وجميع الاستعدادات الفطرية من عطاء الله تعالى للإنسان.

وكل ما أعطاه الله تعالى من استعداد هيأ له الأرضية المناسبة لنموه وتطوره، وخلاف ذلك يحصل التناقض، والتناقض على الله محال.

وعلى أساس الميل لنيل الكمال لا بد من أرضية مساعدة على ذلك والمتمثلة بإرسال الأنبياء والدين، وبصورة عامة اللطف إلهي.

إذن اللطف على الله ضروري، ووجود الأنبياء لطف إلهي (الحاصل أن النظام المؤدي إلى صلاح حال النوع على العموم في المعاش والمعاد لا يكتمل إلّا ببعثة الأنبياء، فيجب على اللّه تعالى ... لكونه لطفا و صلاحا للعباد، و... لكونه سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة و العناية الإلهية، وإلى هذا ذهب جمع ... وقالوا: إنها من مقتضيات حكمة الباري تعالى فيستحيل أن لا يوجد لاستحالة السفه عليه)[4]

البرهان الثاني: (برهان الحكمة[5])[6]

الغرض من الخلق كمال الإنسان.

وكمال الإنسان يستلزم أرضية مناسبة.

ومن أساسيات هذه الأرضية المناسبة إرسال الدين والأنبياء.

لأنّ عدم إرسال الأنبياء((عليهم السلام)) من قبل الله يؤدي إلى نقض الغرض الإلهي.

نقض الغرض فعل قبيح.

والفعل القبيح بعيد من الحكمة الإلهية.

إذن يلزم ذلك إرسال الأنبياء((عليهم السلام)) من قبل الله تعالى؛ لأنه حكيم.

---

[1] - سورة الأحزاب، الآية 46.

[2] - اللطف: هو الأرضية المناسبة التي تهدي الإنسان نحو الكمال وتقربه إلى الطاعة وتبعده عن المعصية دون الإجبار في ذلك.

[3] - كشف المراد في تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف الحلي، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم (مؤسسة النشر الإسلامي)، قم المقدسة، 1413 ه، ص348.

[4]- شرح المقاصد، مسعود بن عمر التفتازاني، الناشر: الشريف الرضي، قم المقدسة، 1412 ه، ج5، ص6-7.

[5] - الحكمة: العلم الصحيح الثابت المثمر عن العمل المتقن المبني على ذلك العلم، وبمعنى آخر هي العلم بحقائق الأشياء والعمل بموجبها ووضع كل شيء في موضعه.

[6] - أنوار الحكمة، محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني، الناشر: بيدار، قم المقدسة، 2004م، ص166-167. وأيضاً شرح أصول الكافي، صدرالدين الشيرازي، الناشر: وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية)، طهران، 1987م، ج4، ص120-121.

البرهان الثالث: (برهان الفطرة[1])

على مدى التاريخ البشري عاش الإنسان حياته على الفطرة، وفطرياً في حياته الاجتماعية بحاجة إلى قيادة.

الأنبياء قادة لهداية الناس.

وحسب ما جاء في القرآن، إنّ الإسلام دين الفطرة «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[2]، وهو محل دعوة جميع الأنبياء، فيجب أن يؤمّن جميع الاحتياجات الفطرية للإنسان.

من هذه الاحتياجات الفطرية إرسال الأنبياء، وخلاف ذلك يحصل التناقض، والتناقض على الله محال.

إذن يرسل الله تعالى الأنبياء لسد الاحتياجات الفطرية للإنسان، وهذا ما يتضح من كلام العلامة الطباطبائي ((رحمه الله)) (فمن الواجب في العناية أن يمد النوع الإنساني مع ما له من الفطرة الداعية إلى الصلاح و السعادة، بأمر آخر تتلقى به الهداية الإلهية، وهو النبوة فربوبيته تعالى لكل شيء المستوجبة لتدبيرها أحسن تدبير، وهدايته كل نوع إلى غايته السعيدة، تستدعي أن تعني بالناس، بإرسال رسل منهم إليهم، ودعوته الناس بلسان رسله إلى الإيمان والعمل الصالح، ليتم بذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة)[3].

البرهان الرابع: (برهان النظم[4])[5]

العالم لا ينتظم إلا بقانون مسموع بين كافة الخلق يحكمون به بالعدل، و إلا تقاتلوا وهلك العالم.

كما لا بد لنظام العالم من المطر مثلاً، والعناية الإلهية لم تقتصر على إرسال السماء مدرارا، فنظام العالم لايستغنى عمن يعرِّفهم وجه صلاح الدنيا والآخرة، إلّا إنّه لا يشتغل بذلك كل واحد.

ولأنّ هذا النظم موجود فى العالم.

فإذن سبب النظم موجود (وهو النبي)، ومن هو سبب النظم في العالم فهو خليفة اللّه في أرضه؛ إذ بواسطته يتم في خلق اللّه تعالى الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة، وإلّا فالخلق دون الهداية لا يفضى إلى خير، ولذلك قال تعالى: «قَدَّرَ فَهَدىٰ»[6] و«أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ»[7].

البرهان الخامس: (برهان الحاجة إلى تحقيق المصالح العامة)[8]:

---

[1] - الفطرة: مجموع الاستعدادات والمواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان، إلّا إنّها موجودة بوجود ضعيف بحاجة إلى ما ينميها ويطورها، أي بحاجة إلى المربين. وفي الكتاب والسنة الفطرة بمعنى الإسلام، أي البدأة التي ابتدأ الله تعالى عليها الناس ((فطرة الله التي فطر الناس عليها))

[2] - سورة الروم، الآية 30.

[3] - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1417ه، ج12، ص26.

[4] - النظم: عبارة عن التنظيم والترتيب الموجود في جميع الموجودات (ليس في الوجود أجمل مما موجود)، مما يدل يكشف عن وجود ناظم مدبّر وفاعل حكيم وعالِم قادر قد ثبت وجوب وجوده وأنه غير متناهي في القدرة والعلم والحكمة، إذ غيره لا يستطيع تحقيق النظم في العالَم وأجزائه أبداً من البداية إلى النهاية.

[5] - مقاصد الفلاسفة، محمد بن محمد الغزّالي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص384.

[6] - سورة الأعلى، الآية3.

[7] - سورة طه، الآية50.

[8] - مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، يحيى بن حبش السهروردي، الناشر: وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية)، طهران، 1993م، ج1، ص95- 96.

الإنسان مدني الطبع، ولبقائه يحتاج إلى مشاركة الآخرين، ومشاركة الآخرين بحاجة إلى الكتاب والحكمة والعدل. وعقول الناس متعارضة مع بعضها البعض، ولا يذعن من يدعي كمال الرأي لمثله، ولذا وجود الحكيم الناشر للعدل، والذي له نفس متعالية، ومطلع على الحقائق ومؤيد من عالَم النور والجبروت، ويهدي الناس إلى الحق والصراط المستقيم، وهذا هو النبي الذي وجوده ضروري. فتكون حاجة الإنسان إليه أكثر من حاجتهم إلى بعض أجزاء البدن؛ لأنّ وجود هكذا شخص في العالَم لتحقق المصالح العامة بين الناس لها أولوية تفوق جميع الحاجات.

البرهان السادس: (برهان أداء التكليف[1])[2]:

أراد الله من الناس أداء التكليف الإلهي، وإذا لم يوضح التكليف، فسيعجز الناس عن أداءه؛ لأنه تكليف ما لا يطاق، مما سيؤدي إلى نقض الغرض، ونقض الغرض فعل قبيح، والله لا يفعل القبيح، فلا بد من مساعدة الناس في أداء التكليف الإلهي.

الله تعالى لا يوضح التكليف للناس بصورة مباشرة، وجميع الناس لا تمتلك لياقة الوحي، بل البعض منهم (لمّا كان الباري سبحانه غير قابل للإشارة الحسّية – كما مرّ في نفي المكان و الجهة – فتنبيههم – أي العبيد بالمصالح و المفاسد – بغير واسطة مخلوق مثلهم في البشرية غير ممكن، فبعثة الرّسل من البشر واجبة عقلا؛ ليمكّن إيصال الأحكام إلى البشر، وإلى هذا يشير قوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً[3] ، يعني أنّ الرسول يجب أن يكون يكون من جنس المرسل إليهم؛ ليمكّن حصول الغرض من إرساله، ولمّا كان أهل الأرض بشرا، يجب كون المرسل إليهم كذلك، ولو كانوا ملائكة، لكان الرسول مثلهم)[4].

فإذن: البعض الذي يمتلك لياقة الوحي يرسله الله تعالى إلى الناس ليوضح ويبين التكليف الإلهي، وهؤلاء المرسلون للناس هم الأنبياء((عليهم السلام)).

شبهات إنكار بعثة الأنبياء((عليهم السلام))

طرحت شبهات إنكار بعثة الأنبياء((عليهم السلام)) من قبل البراهمة[5]، وهي كما يلي:

الشبهة الأولى[6]: احتجت البراهمة على انتفاء البعثة بأن الرسول إما أن يأتي بما يوافق العقول أو بما يخالفها فإن جاء بما يوافق العقول لم يكن إليه حاجة ولا فائدة فيه وإن جاء بما يخالف العقول وجب رد قوله.

---

[1] - أداء التكليف: أن يعلم الإنسان أنّ له ربّاً وإلهاً هو خالقه ومصوره ورازقه وحافظه و....، وأنّه أوجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[2] - شرح الفصول النصيرية، المصدر السابق، ص.223

[3] - سورة الاسراء، الآية 95.

[4] - شرح الفصول النصيرية، المصدر السابق، ص223.

[5] - البراهمة: قوم ينكرون بعثة الأنبياء، وينتسبون إلى رجل منهم كان يدعى (برهما) وهو الذي مهد لهم نفي النبوّات بشبهات واهية.

[6] - كشف المراد في تجريد الاعتقاد، المصدر السابق، ص348.

تفنيد الشبهة: لم لا يجوز أن يأتوا بما يوافق العقول وتكون الفائدة فيه التأكيد لدليل العقل أو نقول لم لا يجوز أن يأتوا بما لا تقتضيه العقول ولا تهتدي إليه وإن لم يكن مخالفا للعقول بمعنى أنهم لا يأتون بما يقتضي العقل نقيضه مثل كثير من الشرائع والعبادات التي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها

الشبهة الثانية[1]: دلّ العقل على أنّ الله تعالى حكيم، والحكيم لا يتعبّد الخلق الا بما تدلّ عليه عقولهم، و قد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا عالما قادرا حكيما، وأنه أنعم على عباده نعما توجب الشكر فننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا. وإذا عرفناه و شكرنا له استوجبنا ثوابه، و اذا أنكرناه و كفرنا به استوجبنا عقابه، فما بالنا نتبع بشرا مثلنا؟
فإنه إن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً ظاهراً على كذبه.

تفنيد الشبهة: إن العقل يمكنه التوصل إلى لزوم شكر المنعم فقط، واما كيفيّة شكره فهو يتوقف على معرفة المنعم وما يحب وما يكره حتى يمكن السير وفق مراده، و ذلك لا يمكن إلّا بأن يعرفنا ذلك بواسطة أنبياء يصطفيهم لإبلاغ رسالته للناس. ولم يطلب الله من الناس ما يخالف عقولهم أصلاً، كيف وحكم الشرع يلازمه حكم العقل. بل غاية الأمر انه طلب منهم ما تعجز عقولهم، واين هذا من مخالفة العقل له؟

الشبهة الثالثة[2]: دلّ العقل على أن للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبّد الخلق بما يقبح في عقولهم، و قد ورد عن أصحاب الشرائع مستقبحات من حيث العقل، من التوجّه الى بيت مخصوص في العبادة، والطواف حوله، والسعي، ورمي الجمار، والاحرام، والتلبية، وتقبيل الحجر الأصمّ، وكذلك ذبح الحيوان، وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته، وغير ذلك، وكل هذه الأمور مخالفة لقضايا العقول.

تفنيد الشبهة: إن العقل لم يحكم بقبح ما جاء به الأنبياء، وما مثل به البراهمة غير مخالف للعقل، فان العقل وإن لم يتمكن من معرفة حقائق واسرار تلك العبادات، ولكن يدرك أنها مطابقة للمصالح الواقعية، فانه بعد أن ادرك أن الله سبحانه و تعالى حكيم ولا يفعل العبث، فكل ما يصدر منه تعالى هو وفق الحكمة.

[1] - تجريد الاعتقاد، نصير الدين الطوسي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي (مركز النشر)، طهران، 1407ه، الحاشية، ص212- 213.
[2] - نفس المصدر، الحاشية، ص213.

شروط وخصال الأنبياء((عليهم السلام)):

تطرّق فلاسفة اليونان القديم وعلى رأسهم أفلاطون إلى الرئيس الأول للمدينة الفاضلة، ومن بعدهم تطرّق فلاسفة الإسلام، وعلى رأسهم رواد المدارس الفلسفية الإسلامية (المشائية، الإشراقية، والمتعالية) إلى بحث هذا الموضوع أيضا. وقد أكدوا في أبحاثهم على أنّ مصداق الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ليس إلّا النبي، أي الإنسان الذي يوحى إليه. فيكون اللّه عز وجل يوحي إليه بتوسّط العقل الفعّال، فيكون ما يفيض من اللّه تبارك وتعالى إلى العقل الفعّال يفيضه العقل الفعّال إلى عقله المنفعل بتوسّط العقل المستفاد، ثم إلى قوته المتخيلة. فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيما فيلسوفا ومتعقلا على التمام وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيا منذرا[1]. وهذا المقام (المتمثل بوجود الرئيس الأول الذي هو النبي عند الفلاسفة الإسلاميين) لا يمكن أن يتحقق إلّا بوجود الشروط والخصال الخاصة بالأنبياء((عليهم السلام))، وهذه الشروط والخصال متشابه عند الفلاسفة الإسلاميين. ولذا نحن في بحثنا هذا سنتطرّق إلى الشروط الخاصة بالأنبياء((عليهم السلام))، والتي بحثها رواد المدارس الفلسفي الإسلامية في أبحاثهم الفلسفية، وبالإضافة إلى ذلك سنذكر الخصال المشتركة عند حكماء الإسلام.

الشروط اللازم توفرها عند الأنبياء((عليهم السلام))

أولاً- المدرسة المشائية[2]:

أ -**المعلم الثاني أبو نصر الفارابي:** يعتقد الفارابي أنّ الرئيس الأول (النبي) يجب أن تتحقق في وجوده ستة شروط، وهي كما يلي[3]:

الأول- أن يكون حكيماً.

الثاني- أن يتمتع بعقل تام وقدرة تعقل عالية جداً.

الثالث- أن يكون لديه القدرة على الإقناع.

الرابع- أن يكون لديه كمال القوة المتخيلة.

الخامس- يتمتع بسلامة بدنية كاملة.

السادس- أن تكون لديه القدرة على الجهاد.

ومع أنّ تحصيل المصداق الجامع لهذه الخصال في العالَم الخارجي (الكون) ليس ممتنع ولكنه نادر، فمن يرزق هذا المقام (مقام النبوة) فلا يؤثر عليه قبول الآخرين أو عدم قبولهم، أطاعوه أم عصوه، وجد قوماً يعاونوه على غرضه أم لم يجد، كما هو الحال بالنسبة للطبيب، فهو طبيب بمهنته وبقدرته على علاج المرضى، وجد مرضى أم لم يجد، راجعه المرضى أم لم يراجعوه، لم ينقص من

[1] - آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، أبونصر الفارابي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995م، ص121.

[2] - المدرسة المشائية: سميت بالمشائية؛ لأن مؤسسها أرسطو كان يلقي محاضراته ماشياً، وكان أفراد المدرسة يتناقشون في المسائل الفكرية إثناء مشيهم جيئة وذهاباً. وكانت هذه المدرسة مبنية على الإستدلال والعقل.

[3] - المصدر نفسه، ص 125. وأيضاً فصول منتزعة، أبو نصر الفارابي، الناشر: مكتبة الزهراء، طهران، 1364ه، ص66.

طبابته شيء[1]. وفي حالة قبول وإقبال الناس عليه فإنّ رئاسته تصل إلى الفعلية، واستطاع أن يأخذ بأيدي الناس إلى كسب الفضيلة وتحصيل الكمال لنيل السعادة في الوصول إلى الغاية التي خلقوا من أجلها.

ب- الشيخ الرئيس ابن سينا: يرى أنّ الشخص الذي يكون لديه حدس ثاقب ونفس قوية بسبب الصفاء وشدة الإتحاد والاتصال مع العقل الفعال، فيتمكن من أن يحصل على الحقائق من عالَم الملكوت، يكون هو جوهر وحقيقة النبوة والوحي في الواقع. وباعتقاده أنّ هذا الحصول على الغيب هو شكل وصورة للنبوة، بل أعلى مراتب قوى النبوة (...وهذا ضرب من النبوة، بل أعلى قوى النبوة. والأولى أن تسمى هذه القوة بالقوة القدسية، وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية)[2] .

ثانياً- المدرسة الإشراقية[3]:

شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي: يعتقد أنّ النبي لا بد له من تحقق الشروط الأربعة[4]:

الشرط الأول: أن يكون مأمور من السماء باصلاح النوع.

الشرط الثاني: أن تكون هيولى العالَم المادي مطيعة له بما أراد من زلزال وخسف وتحريكات وتسكينات.

الشرط الثالث: له القدرة على الإنذار بالمغيبات والأمور الجزئية الواقعة في الماضي أو في المستقبل

الشرط الرابع: لا بد من تخصصه بآيات دالة على أنّه من عند ربّهم العالِم القادر الغافر المنتقم ليخضع النوع له، ويفرض عليهم العبادات.

ويرى السهروردي أنّ الشرط الأول هو العمدة والأساس في الشرائط الأربعة[5].

المدرسة المتعالية[6]:

صدرالدين الشيرازي المعروف بملاصدرا: يعتقد أنّ مقام الرئيس الأول (النبي) لا بد له من وجود الشروط الخمسة، والتي هي كما يلي[7]:

الأول- الكمال في القوة الناطقة والمتخيلة لاستقبال إفاضات الوحي من العقل الفعال.

الثاني- أن يكون له قدرة بلسانه على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه، أي أن تكون قوة بيانه كاملة.

الثالث- له قدرة على حسن الإرشاد و الهداية إلى السعادة و إلى الأعمال التي تبلغ بها السعادة.

---

[1] - تحصيل السعادة، أبونصر الفارابي، الناشر: دار المناهل، بيروت، 1413ه، ص 195-196.

[2] - النجاة من الغرق في بحر الضلالات، حسين بن عبدالله ابن سينا الناشر: جامعة طهران (مؤسسة النشر والطباعة)، طهران، 2000م، ص341.

[3] - المدرسة الإشراقية: هي المدرسة المبنية على الإشراق الذي هو الكشف والذوق والحدس، وصاحب هذه المدرسة لا يرى شيء أظهر من النور، ولا شيء أغنى منه عن التعريف.

[4] - مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، المصدر السابق، ج1، ص95- 96.

[5] -المصدر نفسه، ج1، ص95.

[6] - المدرسة المتعالية: هي المدرسة الجامعة للمشائية الأرسطية والإشراقية العرفانية والإسلام، وهذه العناصر الثلاثة هي أعمدة أبحاث مؤسسها في مؤلفاته، ويمثل هذه المدرسة حق التمثيل من كتبه أسفاره الأربعة.

[7] - الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، صدرالدين الشيرازي، الناشر: مركز النشر الجامعي، طهران، 1981م، ص356.

الرابع– له قوة بدنية للمباشرة في الحروب مع الأبطال لإعلاء كلمة الله و هدم كلمة الكفر و طرد أولياء الطاغوت ليكون الدين كله لله وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون.

الخامس– لديه القدرة على المناظرة والجدل في العلوم مع أهل الجدال.

ويعتقد ملاصدرا أنّ الشرط الأول هو الأكمل لمراتب الإنسانية، وأول الشروط كون الإنسان رسولا من الله تعالى[1].

الخصال التي يتمتع بها الأنبياء((عليهم السلام)):

وأمّا بالنسبة للخصال التي يجب أن يتصف بها الرئيس الأول (النبي) فهي كما ذكرت في أبحاث رواد المدارس الفلسفية الثلاثة، فهي متشابة فيما بينهم. فالخصال التي ذكرها ملاصدرا ((أن النبي لا يمكن أن يصير إلى هذا الحال إلا إذا اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها)[2] شبيهة بالخصال التي ذكرها الفارابي (لايمكن أن تصير هذه الحال إلّا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها)[3]، أي أنّ هذه خصال الرئيس الأول (النبي) متشابهة عند رواد مدارس الفلسفة الإسلامية، وكما يلي:

1– أن يكون تامّ الأعضاء، قواها مؤاتية أعضاءها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها؛ ومتى هم بعضو ما من أعضائه عملا يكون به فأتى عليه بسهولة.

2– أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل، وعلى حسب الأمر في نفسه.

3– أن يكون جيّد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه، وفي الجملة لا يكاد ينساه.

4– أن يكون جيّد الفطنة، ذكيا، إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدليل.

5– ثم أن يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة.

6– أن يكون محبا للتعليم والاستفادة، منقادا له، سهل القبول، لايؤلمه تعب التعليم، ولا يؤذيه الكدّ الذي ينال منه.

7– أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، متجنبا بالطبع اللعب، ومبغضا للّذات والشهوات.

8– أن يكون محبا للصدق وأهله، مبغضا للكذب وأهله.

9– أن يكون كبير النفس، محبا للكرامة: تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.

---

[1] - المصدر نفسه.

[2] - المبدأ والمعاد، صدر الدين الشيرازي، الناشر: منتدى الفلسفة والحكمة الإيرانية، طهران، 1975م، ص493.

[3] - آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، المصدر السابق، ص122- 124.

10- أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هيّنة عنده.

11- أن يكون بالطبع محبا للعدل وأهله، ومبغضا للجور والظلم وأهلهما، ومنصفاً مع أهله و مع غيرهم ويحثّ عليه، و يؤتي من حل به الجور مؤاتيا لكل ما يراه حسنا و جميلا، ثم أن يكون عدلا غير صعب القياد، ولا جموحا ولا لجوجاً إذا دعي إلى العدل، بل صعب القياد إذا دعي إلى الجور و إلى القبيح.

12- أن يكون قويّ العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسورا عليه، مقداما غير خائف، ولا ضعيف النفس.

وبالإضافة إلى هذه الخصال هناك خصال أخرى تطرّق إليها حكماء الإسلام، ومنها ما ذكرها شيخ الإشراق السهروردي[1]، وهناك أيضاً عند الحكماء ثلاث علامات للنبي، وهي كما يلي[2]:

1 +الاستعداد لاستقبال الصور المجردة

2 +الإطلاع على عالم الغيب بواسطة صفاء جوهر نفسه دون شائبة الكسب والتعليم.

3 -مشاهدة صور الملائكة بواسطة الوحي واستماع كلام الله المتعال منه.

وقد قام الإمام الغزّالي بشرح وبيان العلامات الثلاثة التي يتصف بها الأنبياء((عليهم السلام))، وبعد ذلك صرح قائلاً: (من اجتمعت عنده هذه الثلاث، أي العلامات الثلاثة فهو النبي الأفضل، وهو في الدرجة القصوى من درجات الإنسان، وهي متصلة بدرجات الملائكة)[3].

الأهداف الضرورية لوجود الأنبياء((عليهم السلام))[4]:

1 -يعرّفون الناس بواجباتهم في مقابل التكليف الإلهي.

2 -يساعدون الناس في تشخيص حسن وقبح بعض الأفعال.

3 -يسعون في حفظ وسلامة وبقاء المجتمع الإنساني عن طريق تقديم القوانين وسنن الفطرة السليمة.

4 -هم نموذج عملي لتأدية التكاليف الإلهية.

5 -يشرحون ويفسرون الدين والرسائل الإلهية.

6 -يعملون على تأييد وإصلاح ما توصل إليه العقل البشري.

7 -يساعدون العقل البشري في الأمور التي يعجز عن الوصول إلى كشفها.

8 -يعلمون الناس بعض الفنون والصناعات الضرورية لحياتهم.

9 -يهدون الناس إلى الثواب والعقاب الآخروي لإيجاد حافز لهم في أعمالهم.

10 -يعلمون الناس الأخلاق والطرق المناسب لنيل الكمال.

---

[1] - مجموعة مصنفات شخ الإشراق، المصدر السابق، ج1، ص95- 96.

[2] - فصوص الحكمة وشرحه، الفارابي، الناشر: منتدى الآثار والمفاخر الثقافية، طهران، 2002م، ص122- 123.

[3] - مقاصد الفلاسفة، المصدر السابق، ص383.

[4] - تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي، الناشر: دار الأضواء، بيروت، 1405ه، ص367- 368.

المبحث الثاني

جوهر وحقيقة النبوة والوحي ومراتبهما

المدخل:

سنتطرّق في هذا المبحث إلى جوهر وحقيقة النبوة والوحي، وبيان المراتب والمقامات المختلفة للأنبياء((عليهم السلام))، واختلاف مراتب الوحي بحسب اختلاف مراتب ومقامات الأنبياء ((عليهم السلام)). فمنهم من يشاهد حقائق الوحي وتحول الملَك الحامل للوحي إلى صورة متمثلة في شبح شخص بشري ناطق بكلمات إلهية منظومة مسموعة كما قال تعالى «فتمثّل لها بشراً سويّا»[1]، ومنهم من يشاهد حقيقة الوحي والملَك الحامل له دون واسطة، أي أنّ الأنبياء ((عليهم السلام)) في هذه المرتبة يشاهدون الوجود الحقيقي لجبرائيل((ع)) كما قال تعالى «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى»[2]. وأمّا المرتبة الأعلى التي سنبينها فهي المرتبة الخاصة بنبي الرحمة الإلهية محمد((صلى الله عليه وآله وسلم))، فيصل إلى مقام يخلو من الواسطة في ما بينه وبين المبدأ الأول (المقام الإلهي)، كما قال تعالى «ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحى»[3] .

جوهر وحقيقة النبوة والوحي

يعتقد الفارابي أنّ الوحي مرتبط بالعقل الفعال والعقل المستفاد، وبعد بحث قوى البشر العقلانية والإدراكية والتي منها قوة التخيّل، يوضح ماهية الوحي. ويرى أنّ الأصل في مسألة الوحي هو (الروح القدسية)، وفي تعريف النبوة والنبي يقول: النبوة في ذاتها مختصة بالقوة القدسية، يعني أنّ النبي مبعوث من الله إلى الإنسان ليهديه إلى السعادة بجميع جوانبها. وبحسب رأيه أنّ النبي يمكن له بواسطة الروح القدسية أن يصل إلى الكمال النهائي ويتصل بالعقل الفعال (الروح الأمين) (روح القدس) فيحصل على الحقائق منه. وهذه الحقائق هي الوحي والفيض الإلهي الذي يصل للناس بواسطة الأنبياء((عليهم السلام)). واشتغال الروح القدسية للنبي بجهات ما دون لا يمنع من توجهها إلى جهات ما فوق. ففي نفس التمتع بالحواس الظاهرية يكون متصلاً بعالَم الغيب، فيحصل على الحقائق من المَلَك دون التعلم من الناس. وفي هذا الشأن يقول: (الروح القدسية لا يشغلها جهة تحته عن جهة فوقه، وأنّه لا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن وأنه قد يتعدى تأثيرها عن بدنها إلى أجسام العالَم وما فيه ويعقل المعقولات من الروح الملَكية بلا تعليم من الناس)[4].

وبعد شرح وبسط قوى الإنسان المعرفية والإدراكية، يقول في بيان النبوة والنبي: (هذه القوى والأحوال تحصل عند أهل الطبائع العظيمة الفائقة إذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال، وتحصل منه على الفيوضات

---

[1] - سورة مريم، الآية 17.
[2] - سورة النجم، الآية 5.
[3] - سورة النجم، الآية 8.
[4] - فصوص الحكمة وشرحه، المصدر السابق، ص 160- 162.

اللازمة مباشرة، أي دون واسطة فيحصل له العقل المنفعل، ومن ثم يصل إلى مرتبة العقل المستفاد، وعندها يرتبط بالعقل الفعال. فيكون حينها هذا الإنسان محل الوحي الإلهي؛ لأنه يكون مرتبطاً بالوحي، ولم تبقى بينه وبين العقل الفعال واسطة؛ لأنّ العقل المنفعل يكون شبه المادة والموضوع للعقل المستفاد، ويكون العقل المستفاد شبه المادة و الموضوع للعقل الفعال)[1].

فالعقل الفعال هو الموجود الذي يطلق عليه الروح الأمين وروح القدس وأمثالها، ومن حيث المرتبة يطلق عليه عالَم الملكوت وأمثالها[2]. وهذا يعني أنّ النبي شخص مبعوث من طرف الله تعالى لهداية الناس، وفي مرتبة استقبال الوحي بواسطة روحه المجردة يرى ملَك الوحي بصورة إنسان جميل، ويسمع حقائق الوحي بصورة كلام جميل وبليغ. ففي الواقع للنبي قدرة روحية خاصة، وبمساعدتها تظهر عنده لياقة الانسجام مع عالَم الغيب وتستقر في نفسه وقلبه الحقائق الإلهية عن طريق الوحي، وثم يحفظ النبي هذه الحقائق والمعلومات ويفهمها وينقلها للآخرين.

وبالنسبة لمشاهدة صورة الملَك (العقل الفعال) الذي هو واسطة الوحي فقد قال الإمام الغزّالي: (أن النفس قد تتقوى كما سبق، وتتصل فى اليقظة بعالم الغيب كما سبق، وتحاكى المتخيلة ما أدركت بصور جميلة، وأصوات منظومة، فيرى فى اليقظة ويستمع ما كان يراه ويسمعه فى النوم للسبب الذى ذكرناه، فتكون الصورة المحاكية المتخيلة للجوهر الشريف، صورة عجيبة فى غاية الحسن، والملك الذى يراه النبى ... فهذا ممكن غير مستحيل)[3].

ويرى ملاصدرا أنّ رئيس المدينة الأول يجب أن يكون لديه رتبة الخلافة الإلهية واستحقاق الرئاسة على الخلق، وصاحب رسالة إلهية. وهكذا شخص لا بد أن يكون قد وصل إلى مقام ومرتبة الجامعية في النشآت الثلاثة العقلية والنفسية والحسية، ولديه المظهرية الجامعة للأسماء الإلهية. فوجود هكذا شخص لقيادة المجتمع ضروري ليقف بالمرصاد أمام الفتن والفساد، ويهدي الناس، ويهيأ موجبات الصلاح والرشاد. وهكذا إنسان يكون قديراً ووليّاً من أولياء الله، وفي ضوء التعاليم الدينية يكون في مرتبة الأنبياء. وفي سفره من الحق إلى الخلق، من الناحية الطبيعية والفطرية والملكات والهيئات الإرادية قد وصل إلى النهاية بعد أن طوى واجتاز مراتب الكمال فيها، وقد استفاد من الفيض الإلهي ليكون واسطة ما بين عالَم الأمر وعالَم الخلق، وتكون له صورة بطرف الحق، وصورة بطرف الخلق، فهو خليفة الله وقائد الخلق[4].

فالنبي كامل في العلوم الحقيقية بواسطة إفاضات الوحي، وكامل أيضاً في الأمور المتعلقة بالأحكام الدينية والسياسية، وهو مظهر الدين والسياسة وإلّا فلا يمكن له أن يكون واسطة ما بين الحق والخلق (فالحق الحقيق بالتحقيق والتصديق أن الحقّ تبارك وتعالى لما خلق الخلق وسواه ودبر الأمر و أجراه ثم

---

[1] - السياسة المدنية، محمد بن محمد الفارابي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1996م، ص 88- 89.
[2] - المصدر نفسه، ص 23.
[3] - مقاصد الفلاسفة، المصدر السابق، ص383.
[4] - المبدأ والمعاد، المصدر السابق، ص480.

استوى على العرش وعلاه كان من أفضل رحمته وأتم جوده ونعمته وكمال الإحسان إلى نوع الإنسان بل إلى سائر الأكوان من النبات والحيوان أن اختار طائفة من عباده و اصطفاهم وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون علمه وأسرار غيبه وأخباره ثم بعثهم إلى عباده ليدعوهم إليه وإلى جواره ليستضيئوا بأنواره لكي ينتهوا عن نوم الجهالة ويستيقظوا عن مرقدة الغفلة والكسالة ويحيوا حياة العلماء ويعيشوا عيش السعداء ويبلغوا إلى كمال الوجود في دار الخلود عند الملك الحق الودود)[1].

فالوحي هو كلام الله الحقيقي والعقلي، وهذا الكلام الإلهي ليس بمعنى أنّه ينزل على روح النبي، بل روح النبي أثر شدة النزاهة والطهارة من العلائق المادية والدنيوية تصعد إلى عالَم الملكوت، فتحصل على الحقائق والمعارف الإلهية من قبل الله تعالى أو ملَك الوحي. فنزول الوحي بعد مرحلة الصعود هذه، يعني بعد صعود الروح النبوية وتحصيل الوحي تنزل الرسالة الإلهية في قالب الألفاظ والعبارات الحالية لتصل إلى البشر: (فإذا توجهّت إلى الأفق الأعلى وتلقّت المعارف بلا تعليم بشري من اللّه أو من ملائكة اللّه يتعدّى تأثيرها إلى قواها وتتمثّل صورة ما شاهدها في روحها البشري، ومنها إلى أجسام العالم، فتذعن لها طبيعة الخلق الأكبر وقواها من النفوس الجزئيّة، كما تذعن للملائكة الأقربين لاتّصالها لهم، فيكون حكمها حكمهم عند اتّصالها بأفق النور الإلهي)[2].

وماهية الوحي إنتقاش، والإنتقاش يعني أنّ المعارف والرسالة الإلهية بعد صعود الروح النبوية واتصالها بعالَم الملكوت تنتقش على صفحة نفس النبي كما تنتقش الألفاظ والكلمات عندما ندونها على صفحة الورقة. فعكس وانعكاس الوحي مثل انعكاس نور الشمس على المرآة التي تم جلائها وصقلها. وعندما تتحرر روح النبي من العلائق المادية تنعكس عيها المعارف الملكوتية فتكون كالمرآة الشفافة: (فمهما وجدت نفسه فرصة عن هذه الشواغل العارضة في اليقظة تخلص بقوّتها المتخيّلة عن جانب الطبيعة راجعة إلى عالمها متّصلة بأبيها المقدّس وهو روح القدس وبمن شاء اللّه تعالى من الأرواح المقدّسة، ويستفيد من هناك العلم و الحكمة بالانتقاش على سبيل الرشح أو العكس كمرآة مجلوّة حوذي بها شطر الشمس)[3].

كيفية حصول الوحي للأنبياء((عليهم السلام))

للأنبياء((عليهم السلام)) وجهتان في أنفسهم: وجهة نحو عالَم الطبيعة، وأخرى نحو ما وراء الطبيعة. وفي الوجهة الأولى تستفاد النفس من الحواس لتحصيل العلوم والمعارف، وأمّا في الوجهة الثانية تدرك الحقائق والمعارف من عالَم الملكوت. وجميع العلوم المكتسبة هي من نوع العلوم الحسية التي تبدأ من الصور الحسية لتنتهي إلى مرحلة الصور المعقولة. أمّا علوم ومعارف الوحي فمن مرتبة العقل إلى الخيال، حتى تنتهي إلى المحسوس، وهذه أعلى درجات الوحي الخاصة بالأنبياء((عليهم السلام)) (وفي

[1] - الرسائل (الواردات القلبية في معرفة الربوبية)، صدرالدين الشيرازي، مكتبة المصطفي، قم المقدسة، ص273.
[2] - تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي، المصدر السابق، ج7، ص115
[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 299.

إبصار الملك و سماع الوحي ينعكس الشأن، فينزل الفيض من عالم الأمر إلى النفس... ثمّ يفيض من النفس إلى القوّة الخياليّة فتمثّل لها الصورة... من معدن الإفاضة وصقع الرحمة، ثمّ تنحدر الصورة المتمثّلة... إلى الحسّ الشاهد، بل النفس تنزل من العالم الأعلى إلى الأوسط ثمّ إلى الأدنى فتشاهد في كل عالم ما يتعارف لها و يناسبها على عكس الحالة الأولى؛ لأنّ تلك الحركة عروجيّة وهذه نزوليّة فتسمع الكلام وتبصر الصورة في كلّ عالم من العوالم الثلاثة. وهذا أفضل ضروب الوحي و الإيحاء)[1].

ومسير الفيض الإلهي (الوحي) يمر من العقل الفعال إلى قلب وعقل النبي فيتغير إلى جو عرفاني وإشراقي، فيكون بما أفاض الله تعالى عليه وليا من أولياء الله وحكيماً إلهياً، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة والمتصرفة رسولا منذرا (فلقلب النبي((صلى الله عليه وآله وسلم)) بابان مفتوحان أحدهما وهو الباب الداخل إلى مطالعة اللوح المحفوظ والذكر الحكيم فيعلمه علما يقينا لدنياً من عجائب ما كان أو سيكون وأحوال العالم فيما مضى وفيما سيقع وأحوال القيامة والحشر والحساب ومآل الخلق إلى الجنة و النار، وإنما ينفتح هذا الباب لمن توجه إلى عالم الغيب وأفرد ذكر الله على الدوام والثاني إلى مطالعة ما في الحواس ليطلع على سوانح مهمات الخلق ويهديهم إلى الخير ويردعهم عن الشر فيكون هذا الإنسان قد استكملت ذاته في كلتا القوتين آخذاً بحظ وافر من نصيب الوجود والكمال من الواهب سبحانه، بحيث يسع الجانبين ويوفي حق الطرفين فيكون بما أفاضه الله على قلبه وعقله المفارق ولياً من أولياء الله وحكيماً إلهيا وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة والمتصرفة رسولا منذرا بما سيكون ومخبرا بما كان وبما هو الآن موجود)[2].

فحسب رأي الحكماء أن النبي متصل بروح القدس، ومنه يأخذ العلم، وأيضاً يكتسب منه قوة نورانية وخاصية تأثيرية فيعمل على وضع قانون لضمان مصالح الناس العامة وقيام القسط والعدل بينهم، ويذكرهم بالمعاد، ويعين لهم طريق الشرع، ويعلمهم طريق السلوك للوصول إلى الله تعالى، ويشوقهم إلى المصالح العامة والمعروف، ويرغبهم بعبادة الحق، ويأمرهم بطهارة النفس، ويحذرهم من القبيح، ويعلمهم العبادة، ويكرر عليهم ذلك حتى لا ينسون[3].

مراتب ومقامات الأنبياء((عليهم السلام))

يختلف الأنبياء((عليهم السلام)) في مراتبهم ومقاماتهم، وهناك الكثير من الكلمات والآيات الدالة على كمال مرتبتهم ونقصها وفضيلة بعضهم على بعض حيث قال إبراهيم((ع)): «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلىٰ رَبِّي»[4]، فسمى الروح الذي هو واسطة بينه و بين الرب رباً إذ هو آية الرب الكبرى المشار إليها بقوله «لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ»[5]. وكذلك موسى((ع)) في قوله «وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»[1]، وأما

[1] - تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي، المصدر السابق، ج1، ص300
[2] - الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، المصدر السابق، ص356.
[3] - مصنفات شيخ الإشراق، المصدر السابق، ج1، ص 96.
[4] - سورة الصافات، الآية 99.
[5] - سورة النجم، الآية 18.

عيسى((ع)) لما كان أقرب منهما وأكمل لكونه روح الله و كلمته حيث غلبت عليه القوة الروحانية فقال إني ذاهب إلى أبي وأبيكم السماوي ومن قوله هذا قالت النصارى المسيح ابن الله. وأما سيدنا ونبينا((صلى الله عليه وآله وسلم)) لما كان أفضل الكل لكونه معتدلاً في قواه، بل القوة الروحانية فيه كانت مستعلية على النفسانية الغضبية والشهوية حيث أسلم شيطانه على يده بل بلغ في فيضان الأشعة و الأنوار منها إلى أن سماه الله تعالى سراجاً منيراً لعالم الأرواح كالشمس المسماة سراجاً وهاجاً لعالم الأجسام[2].

مراتب الوحي

وللوحي بحسب اختلاف مراتب ومقامات الأنبياء((عليهم السلام)) ثلاث مراتب، وهذه المراتب تختلف مع بعضها البعض، وهي من الأدنى إلى الأعلى كما يلي:

المرتبة الأولى: في هذه المرتبة على رغم اتصال نفس النبي مع مفيض الوحي، وحصوله على حقائق الوحي، إلّا إنّ هذه الحقائق لا تتجلى بصورة أولية في نفس النبي، بل تتبدل إلى ألفاظ وأصوات مسموعة. وفي النهاية ما مسموع ومشهود للنبي فقط شبح ملَك الوحي وألفاظه، وهذه المرتبة هي أقل مراتب الوحي التي يعتقدها الحكيم ملاصدرا: (ولكن حيث أنّ النفس تكون بعد في دار غربتها بالطبع... أو أنّها لم تتجرّد عن عالم التمثّل بالكليّة ... فيكون منالها فيما تناله بحسب ذلك الشأن وتلك الدرجة تحوّل الملك الحامل للوحي على صورة متمثّلة في شبح شخص بشريّ ناطق بكلمات إلهية منظومة مسموعة كما قال تعالى: «فتمثّل لها بشراً سويّا»[3])[4].

المرتبة الثانية: في هذه المرتبة يشاهد النبي العقل الفعال الموسوم بروح القدس بلا واسطة (بصورة مباشرة). أي أنّ النبي في هذه المرتبة يشاهد حقيقة الوحي والوجود الحقيقي للمفيض، يعني النبي يشاهد جبرائيل((ع)): (وربما يكون صقالة النفس النبويّة أتم وتجرّدها في بعض الأحايين أقوى وسلطانها على قهر الصوارف الجسدانيّة والشواغل الهيولانيّة أعظم... فتشاهد ببصر ذاتها العاقلة الصائرة عقلا بالفعل معلّمها القدسي... وتستفيد منه وهو في صورته القدسيّة، العلوم والأحوال كما قال تعالى «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى»[5])[6].

---

[1] - سورة الاعراف، الآية 143.
[2] - مفاتيح الغيب، المصدر السابق، ص480.
[3] - سورة مريم، الآية 17.
[4] - تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي، المصدرالسابق، ج1، ص299.
[5] - سورة النجم، الآية 5
[6] - تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي، المصدرالسابق ، ج1، ص301.

المرتبة الثالثة: هذه المرتبة هي أعلى مراتب الوحي، وفيها يصل النبي إلى مكانة لا واسطة فيها ما بينه وبين المبدأ المفيض. أي أنّ النبي بدون واسطة يسمع الكلام الإلهي، ويتشرف بمشاهدة المقام الإلهي (وربما وصل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلى مقام أعلى من أن يتوسّط بينه و بين المبدأ الأول والمفيض على الكلّ واسطة، فسمع كلام اللّه بلا واسطة كما قال تعالى «ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحى»[1])[2].

[1] - سورة النجم، الآية 8

[2] - تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازيالمصدرالسابق، ج1، ص 301.

النتيجة:

بعد بحث موضوع ضرورة النبوة واستخدام البراهين النقلية والعقلية المتعددة والمختلفة لحكماء مدارس الفلسفة الإسلامية ((المشائية، الإشراقية، والمتعالية) إتضح لنا بالدليل القاطع أن وجود الأنبياء((عليهم السلام)) ضرورة حياتية لا بد منها لتحقق الغرض الإلهي من الخلق، أي الوصول إلى مقام القرب الإلهي وتحقيق سعادة الدارين، وخلاف ذلك يحصل نقض الغرض، ونقض الغرض فعل قبيح، والقبيح لا يصدر عن الحكيم المتعال. والأنبياء((عليهم السلام)) رغم اختلاف مراتبهم ومقاماتهم إلّا إنهم قلّة، والأفضل ما بين الناس من جميع الجهات (البدنية والعقلية والخُلقية)، وقد توفرت فيهم شروط النبوة التي بحثها الفلاسفة منذ زمن أفلاطون في مدينته الفاضلة وإلى يومنا هذا، وبالإضافة إلى ذلك هم يتصفوا بخصال يفتقر إليها غيرهم. وقد بعثهم الله تعالى لمساعدة الناس في إحياء الاستعدادات الفطرية التي غالباً ما تتوجه نحو الإفراط والتفراط في غياب المربي المرشد الهادي. فيعملوا على توجيه الناس نحو الاعتدال وتحقيق العدالة الاجتماعية ونشر الفضيلة بينهم.

فالأنبياء((عليهم السلام)) بواسطة إفاضات الوحي في أعلى درجات الكمال بالنسبة للعلوم الحقيقية، وأيضاً في الأمور المتعلقة بالأحكام الدينية والسياسية، فهم مظهر الدين والسياسة وإلّا فلا يمكن لهم أن يكونوا واسطة ما بين الحق والخلق. والأنبياء((عليهم السلام)) بواسطة ما يمتلكوا من روح قدسية استطاعوا أن يصلوا إلى الكمال النهائي ويتصلوا بالعقل الفعال (الروح الأمين) (روح القدس) فيحصلوا على الحقائق منه. وهذه الحقائق هي الوحي والفيض الإلهي الذي يصل للناس بواسطة الأنبياء((عليهم السلام)). واشتغال الروح القدسية للأنبياء((عليهم السلام)) بجهات ما دون لا يمنع من توجهها إلى جهات ما فوق.

ورغم ما يمتلكه الأنبياء((عليهم السلام)) من فضيلة وكمال نهائي إلّا إنهم يختلفوا في مراتبهم ومقاماتهم، وباختلاف المراتب والمقامات تختلف مراتب الوحي. فكان مقام نبينا العظيم محمد((صلى الله عليه وآله وسلم)) في أعلى مراتب الوحي، واستطاع أن يصل إلى ما عجز عن الوصول إليه غيره، ليتشرف بمشاهد المقام الإلهي «ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ»[1]، حيث لا جبريل((ع)) ولا واسطة أخرى في ما بينه وبين المقام الإلهي.

[1] - سورة النجم، الآية8.

المصادر

1 -القرآن الكريم.

2 -ابن سينا حسين بن عبدالله، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، الناشر: جامعة طهران (مؤسسة النشر والطباعة)، طهران، 2000م.

3 -الأسترآبادي عبدالوهاب بن علي، شرح الفصول النصيرية، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية)، كربلاء المقدسة، 1433 هـ.

4 -التفتازاني مسعود بن عمر، شرح المقاصد، الناشر: الشريف الرضي، قم المقدسة، 1412 هـ.

5 -الحلي الحسن بن يوسف، معارج الفهم في شرح النظم، الناشر: دليل ما، قم المقدسة، 2007م.

6 -الحلي الحسن بن يوسف، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم (مؤسسة النشر الإسلامي)، قم المقدسة، 1413 هـ.

7 -السهروردي يحيى بن حبش، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، الناشر: وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية)، طهران، 1993م.

8 -الشيرازي صدر الدين، تفسير القرآن الكريم، الناشر: بيدار، قم المقدسة.

9 -الشيرازي صدرالدين، شرح أصول الكافي، الناشر: وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية)، طهران، 1987م.

10 -الشيرازي صدرالدين، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، الناشر: مركز النشر الجامعي، طهران، 1981م.

11 -الشيرازي صدرالدين، الرسائل (الواردات القلبية في معرفة الربوبية)، مكتبة المصطفي، قم المقدسة.

12 -الشيرازي صدرالدين، مفاتيح الغيب، الناشر: مؤسسة البحوث والدراسات الثقافية (الرابطة الإسلامية للحكمة والفلسفة في إيران)، طهران، 1984م.

13 -الشيرازي صدرالدين، المبدأ والمعاد، الناشر: مكتب التبليغات الإسلامية في الحوزة العلمية، قم- ايران، 2001م.

14 -الطوسي نصير الدين، تلخيص المحصل، الناشر: دار الأضواء، بيروت، 1405هـ.

15 -الطوسي نصير الدين، تجريد الاعتقاد، ، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي (مركز النشر)، طهران، 1407هـ.

16 -الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1417هـ.

17 -الغزّالي محمد بن محمد، مقاصد الفلاسفة، الناشر: دار المعارف، القاهرة، 1961م.
18 -الفارابي محمد بن محمد، فصول منتزعة، الناشر: مكتبة الزهراء، طهران، 1364هـ.
19 -الفارابي محمد بن محمد، تحصيل السعادة، ، الناشر: دار المناهل، بيروت، 1413هـ.
20 -الفارابي محمد بن محمد، فصوص الحكمة وشرحه، الناشر: منتدى الآثار والمفاخر الثقافية، طهران، 2002م.
21 -الفارابي محمد بن محمد، السياسة المدنية، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1996م،
22 -الفارابي، محمد بن محمد، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995م.
23 -الفيض الكاشاني محمد بن شاه مرتضى، أنوار الحكمة، الناشر: بيدار، قم المقدسة، 2004م.
24 -مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، العدد 35، سنة 2019.